

المثل السائر

ألا ترى أنه قال في الأول (يصرف مسراها) مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك (إذا العيس لاقى بي) مخاطباً نفسه وفي هذا من الفائدة أنه لما صار إلى مشافهة للمدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مباشرة لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره وهو أيضاً خطاب لحاضر فقال (هنالك تلقى الجود) والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شهد به كأنه يصف له جود المدوح وما لاقاه منه إشادة بذكره وتنويهاً باسمه وحملًا لغيره على قصده وفي صفته جود المدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهي قوله (حيث قطعت تمانمه) ما يقتضي له الرجوع إلى خطاب الحاضر والمراد بذلك أن محل المدوح هو مألّف الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك إذ التمانم لا تقطع إلا عن أمنك عليه المخاوف .

على هذا النهج ورد قول أبي الطيب المتنبي في قصيد يمدح به ابن العميد في النوروز ومن عادة الفرس في ذلك اليوم حمل الهدايا إلى ملوكهم فقال في آخر القصيد .

(كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ زُهِدِي كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الْمَلِيكَ عِيَادُهُ °
...) .

(وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فَمِنْهُ هِدَايَتُهُ وَقِيَادُهُ °
...) .

(فَيَعْتَنَانَا بِأَرْبَعِينَ مَهَارًا ... كُلُّ مُهْرٍ يُدَانُهُ إِزْشَادُهُ °)